

أهداف الترجمات الاستشرافية

لمعاني القرآن الكريم

ودوافعها

إعداد

الدكتور / محمد أشرف علي المليباري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً يُحِرِّفُونَ الْكَلِمَ عنَ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مَّمَّا ذَكَرُوا إِلَيْهِ وَلَا نَزَّلْنَا تَطْلِعُ عَلَىٰ خَلِيلَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٢].

والصلوة والسلام على سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ورسوله إلى الناس كافة بشيراً ونديراً، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن موضوع هذا البحث هو: ((أهداف الترجمات الاستشرافية لمعاني القرآن الكريم ودواتها)) وقد أعده الباحث استجابة للدعوة التي تلقاها من سعادة الأمين العام بجمعية الملك فهد لطبع المصحف الشريف رئيس اللجنة التحضيرية لندوة ((القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية)) أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي، حفظه الله تعالى.

وما دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع من ضمن الموضوعات المطروحة للدراسة في الندوة رغبته الملحة في المشاركة في خدمة كتاب الله بالدفاع عن حياضه، واستشعاراً منه للأخطار المحيطة بالأمة الإسلامية من المستشرقين اليهود والنصارى من خلال ترجماتهم لمعاني كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد، ولما شاع لدى المستشرقين في ترجماتهم لمعاني كتاب الله من التحريف والتبدل من خلال

مسلمات أهل الكتاب حتى يُصرف الناس عن كتاب الله، ومحاولة منهم لتنصير المسلمين وتشويه عقيدتهم.

ولما رأى الباحث من اتخاذ المستشرقين الترجمات سلاحاً فتاكاً لحمد الإسلام، ووسيلة من وسائل التنصير لتنزيل معتقدات النصارى على بعض ما قد يكون متشابهاً من آي القرآن تلبيساً وتضليلًا كما ضلوا سوء السبيل.

وحاول الباحث من خلال هذه الدراسة الوجيزة بيان مدى خطورة إقدام المستشرقين على ترجمة معاني كتاب الله الكريم ودراستهم القرآن وعلومه منذ أن وضع القساوسة والرهبان أول ترجمة استشرافية بالتعاون مع بعض الأيدي اليهودية الخفية.

ولكون عنوان البحث «أهداف الترجمات الاستشرافية ودوابعها» تتحمّل الباحث أن يتناول عناصر هذا الموضوع من جذورها - ولو باختصار - للوصول إلى الدوافع والأهداف التي قامت لأجلها الحركة الاستشرافية في الغرب وأوروبا، والتعرف عليها.

والمنهج المتبّع في هذا البحث هو الدراسة حول «الاستشراف ولادة ونشأة مع بيان مراحله وأطواره» ومن ثم تعرّض الباحث لبعض الترجمات الاستشرافية على سبيل المثال لا الحصر في اللغات الأوربية والغربية مع ذكر نماذج منها.

وجعلت هذه الدراسة في خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم كلمتي ((الاستشراق والمستشرقين)) كما يرى الباحثون.

المبحث الثاني: تاريخ نشأة الاستشراق وأطواره.

المبحث الثالث: القرآن الكريم والمستشرقون.

المبحث الرابع: الترجمات الاستشرافية ونشأتها.

المبحث الخامس: الدوافع والأهداف للترجمات الاستشرافية.

وأسأل الله العلي القدير رب العرش العظيم السداد والتوفيق والإخلاص في القول والعمل، والله ولي التوفيق وهو في عون الجميع، وصلى الله على محمد وصحبه.

المبحث الأول

مفهوم كلمة الاستشراق والمستشرقين كما يرى الباحثون.

على الرغم من أن قضية الاستشراق وموضوعاته نقشت بتوسيع وأشيعت بحثاً من قبل المختصين منذ القدم، أرى من الأنسب للمقام إلقاء الضوء على مفهوم هذه الكلمة لدى الباحثين قديماً وحديثاً، لتحديد المصطلحات المميزة وتقريرها إلى الأذهان.

1- الاستشراق لغةً:

هي كلمة مشتقة من مادة ((شرق)) يقال ((شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت)).⁽¹⁾

وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة: استشرق أي: طلب الشرق وهو ما يوحى إليه حرف السين والتاء التي هي حروف تدل بمجموعها على الطلب.

أي: طلب علوم الشرق ولغاتهم، يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجية⁽²⁾ وعليه فإن العلاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الآتي ذكره.

(1) المصباح المنير 1/32، والمعجم الوسيط ج 1 ص 482.

(2) الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة ج 3 ص 311، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.

2- المفهوم العلمي للاستشراق أو معناه الاصطلاحي:

يختلف الباحثون كثيراً في المراد من مصطلح ((الاستشراق)) فيقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: ((هو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي)) ويطلق على كلّ غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه وعقائده⁽¹⁾. وهذا هو الاستشراق بمفهومه الواسع. وهناك مفهوم خاص ويعني: الدراسات المتعلقة بـ ((الشرق الأوسط)) لغته وآدابه وتاريخه وعقائده وحضارته بوجه عام⁽²⁾.

3- التعريف الذي يحدد دائرة الترجمات الاستشرافية:

يحاول الدكتور عمر فروخ توسيع نطاق كلمة ((الشرق)) حتى أدخل في معناها كل البلدان التي تنطبق عليها كلمة ((الشرق)); لكن معظمها كان معقلا للشعوب الإسلامية والمنارات الإسلامية عندما توسعت رقعة الإسلام في تلك البلدان إذ يقول: ((الاستشراق هو اتجاه إلى المعرفة بلغات الشرق وآدابه وثقافته، والشرق هو هنا الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وتنحصر عناية المستشرقين (في هذا النطاق) في اللغة العربية خاصة وبالشعوب الإسلامية على الأخص - وإن كان يجوز أن يسمى الذي يهتم بالهند والصين واليابان مستشرقاً، ونحن نسمى هذا الاتجاه استشراقاً - مع أنه يشمل بلاد المغرب وهي تقع في الجانب الغربي من البحر الأبيض المتوسط.

(1) مقدمة كتاب ((الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)).

(2) الدكتور: محمد فتح الله الزيادي، ((الاستشراق أهدافه ووسائله)) ص30، نقلًا عن كتاب ((تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي)) للأستاذ عبد الجبار ناجي، ص13.

فالاستشراق إذن: اهتمام بالشعوب الإسلامية بقطع النظر عن مكانها من الأرض وعن اللغة التي تتكلّمها تلك الشعوب ... المستشرق لا يكون شرقياً ولا عربياً ((بل غريباً (بالغين المعجمة))⁽¹⁾.

وهذا المفهوم يساعدنا على حصر الدارسين الذين يدخلون في نطاق موضوع بحثنا؛ فالذين يسكنون بقاعاً تمتد من أطراف الصين شرقاً إلى موريتانيا غرباً، ومن العراق وتركيا شمالاً إلى إندونيسيا جنوباً، لا يدخلون في المستشرقين حتى لو كانت أهداف دراستهم للإسلام واحدة، مع كونهم متتفقين مع الغرب في نياتهم السّيئة وأهدافهم الخبيثة، كالترجمات القاديانية والصّوفية المنحرفة وأصحاب الآراء الضالّة تجاه القرآن الكريم من جعل موقفه من الإسلام موقف المتحاملين من أهل الشرق كالأب لويس شيخو⁽²⁾ مثلاً، فهو لاءً جيئاً يخرجون من نطاق بحثنا بهذا التعريف. إلا أن الباحث الدكتور علي بن إبراهيم النّملة يخالفنا في هذا المفهوم، فيرى: أن الاستشراق ظاهرة محدّدة بدراسة علوم المسلمين من غير المسلمين، بعض النظر عن الوجهة التي ينطلق منها المستشرق سواء أتى من الغرب أم من الشرق⁽³⁾.

(1) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، بحث مقدم للندوة العلمية عن المستشرقين في الهند.

(2) لويس شيخو (ت 1927م)، راهب يسوعي أصله من ماردين (شمالي العراق) صاحب مؤلفات في الأدب والشعر، واتجاهه في التأليف تبيان آثار النصرانية حتى جعل شعراً الجاهلية كلهم نصارى كذلك وزوراً.

الإسلام والمستشرقون: تأليف مجموعة من علماء المسلمين ص 126، ط عالم المعرفة، جدة، 1405هـ.

(3) المستشرقون ونشر التراث، ص 15، مكتبة التوبة، الرياض، 1422هـ.

ونحن مع تقديرنا له لا نؤيد هذا الاتجاه، لمخالفته للمعنى اللغوي لكلمة ((المستشرق)) ونخن معه في تحمسه للدفاع عن حياض الإسلام ضد كيد أعدائه من المنحرفين بغض النظر عن الوجهة التي انطلقا منها.

4- المستشرقون:

للباحثين آراء متقاربة في المعنى الاصطلاحي لكلمة ((المستشرقون)). فيقول الدكتور أحمد سمايلو فيتش: ((إن المستشرق عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وأدابه))⁽¹⁾.

وتقول الدكتورة عفاف صبرة: ((المستشرقون اصطلاح يشمل طائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم والفنون والأداب والديانات والتاريخ وكلّ ما يخصّ شعوب الشرق مثل: الهند وفارس والصين واليابان والعلم العربي وغيرهم من أمم الشرق))⁽²⁾.

ويقول الدكتور ميشال جحا: ((المستشرقون هم أولئك الأساتذة والباحثون الأكاديميون الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية والحضارة العربية وقضايا العالم العربي وبالدين الإسلامي))⁽³⁾.

أما الأستاذ مالك بن نبي فقد صرّح بكلمة مهمّة أهللها أصحاب الآراء السابقة، وهي كلمة ((الغرب)) حيث قال: ((إننا نعني بالمستشرقين: الكتاب ((الغربيّين)) الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية))⁽¹⁾.

(1) فلسفة الاستشراق، ص 22، للدكتور: أحمد سمايلوفتش، ط دار المعرف، مصر.

(2) المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص 9، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م.

(3) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط 1.

ويمكن الربط بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي؛ فالاستشراق إذن:
طلب الشرق - الذي هو آسيا وإفريقيا- من الغرب الذي هو أوروبا
وأمريكا- للبحث عما لديهم من كنوز المعرفة، وأغلى وأعظم ما يملكه الشرق
هو القرآن الكريم الذي أنزله الله لهدایة البشرية جماء عرباً وعجماء على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ﷺ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا**
وَنَذِيرًا [سبأ: ٢٨].

(1) د. الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص 16، نقلًا عن كتاب ((إنتاج المستشرقين)) مالك بن نبي.

المبحث الثاني

تاریخ نشأة الاستشراق وأطواره

1- تاريخ نشأة الاستشراق:

للباحثين آراء متباعدة في تحديد تاريخ حركة الاستشراق ومنشئها؛ لأنها لم تبدأ بصورة منظمة أو بخطيط سابق، بل كانت في البداية جهوداً فردية وعفوية؛ من هنا صعب على الباحثين التعرف على التاريخ بالدقة والتحديد. وبعد أن ظهرت هذه الحركة شيئاً فشيئاً واتضحت أفكارها عند أهلها وقويت شوكتها، أصبح لها مسار مخصص، ومنهج مميز، وكواذر ومنظمات ومؤسسات.

2- آراء الباحثين في تحديد نشأة الاستشراق:

يقول الباحث أحمد الإسكندراني: ((إن بداية الاستشراق كانت في القرن العاشر الميلادي حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية الكبرى التي شادها العرب (بالعين المهمّلة)، فاندفعوا إليها ليعتّلّموها ويتعلّمون بها ويستفيدوا منها فأخذوا يدرسون لغتها وآدابها ويتجمّلون كتبها وينقلون علومها إلى بلادهم، وكان أول من بدأ بذلك رجال الدين، ثم تلاهم غيرهم)).⁽¹⁾

(1) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، للدكتور: أحمد سمايلوفتش، ص 55، نقاً عن كتاب المفصل في تاريخ الأدب العربي، 408/2، للدكتور: أحمد الإسكندراني وآخرين.

ومن ذهب إلى هذا الرأي الكاتب نجيب العقيقي إذ يقول: ((إن الذين يظنون أنّ أوربا لم تعرف استشراقاً حقيقياً قبل الحملات الصليبية مخطئون؛ لأن الاستشراق عُرف في القرن العاشر الميلادي))⁽¹⁾.

ويقول الباحث يوسف أسعد داغر: ((إن الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر الميلادي يوم كان الشرق العربي الإسلامي مرتع العلم و منتدى الأدب، وحين كانت قواعد الأندلس وحضارتها الكبرى متواة للثقافة ومنابر للمعرفة بما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس العالية يفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا للدرس والتحصيل))⁽²⁾.

وتحديداً للفترة الزمنية لهذا التطور يقول الدكتور الزيادي: (... ذلك حين بدأت التلمذة الغربية على الشرق التي كان رائدها ((الراهب حربرت)) الذي تعلم العربية في قرطبة ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية تحت اسم سلفستر الثاني)⁽³⁾. وهنالك من يقول: إن الاستشراق نشأ مبكراً في القرن الثامن الميلادي في الأندلس؛ ويستدل على ذلك بدخول العرب إلى إسبانيا عام (92هـ) وهذا واقع تاريخي ثابت؛ يقول الدكتور أحمد سمايلوفتش: ((إنه وجد نصاً مبكراً من القرن التاسع يتحدث فيه ألفارو المسيحي بما حدث مع أهله الذين يجدون للدّة

(1) المصدر السابق، نقلأً عن ((المستشرقون)), ص35 - 36.

(2) مصادر الدراسات الأدبية، 772/2.

(3) فرنسي انتخب في 2/4/999م ببابا كنيسة روما الكاثوليكية، ذهب إلى الأندلس لإكمال دراسته فتعلم اللغة العربية والعلوم التقنية الإسلامية، وله الفضل في تنشيط الترجمة من العربية إلى اللاتينية. الاستشراق أهدافه ووسائله، ص24، موسوعة المستشرقين، د. بدوي، ص107.

كبير في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين وال فلاسفة المسلمين لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عريياً جميلاً صحيحاً⁽¹⁾ ... ويعلق الدكتور أحمد على هذا النص بقوله: ((إذا كان الأمر قد وصل إلى هذا الحد مع أهل الأندلس في أوائل القرن التاسع الميلادي من حيث الاهتمام بالعربية وأدابها، فمن الضروري إذن أن تكون نشأته ومياد حركته قبل ذلك بزمن غير قصير)).⁽²⁾

ويرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميلادي، ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض النصارى عن الإسلام أمثال يوحنا الدمشقي حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية بن أبي سفيان؛ لأنّه عاش ما بين 676م و749م.

يقول الدكتور الزيادي معلقاً على هذا الرأي: ((ولا شك أن هذا الرأي ربما يتواافق مع المفهوم العام للاستشراق لا المفهوم الأكاديمي له)).⁽³⁾ وذهب بعضهم إلى أن الاستشراق نشأ عند ظهور أول ترجمة استشرافية للقرآن الكريم، وكان ذلك في القرن الثاني عشر الميلادي⁽⁴⁾. كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله.

3- مراحل الاستشراق وأطواره:

(1) فلسفة الاستشراق، ص 67-68، نقاً عن كتاب تاريخ الفكر الأندلسي / المترجم لصاحبه جون ثالث ياليشا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة العربية، ط 1، 1955م.

(2) المصدر نفسه، ص 68.

(3) محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص 24.

(4) المصدر نفسه.

والمطلع على آراء الباحثين ودراستهم للاستشراق يرى أن حركة الاستشراق مرّت بعدة مراحل وأطوار.

المرحلة الأولى: الانبهار بالحضارة العربية والاتجاه إليها.

المرحلة الثانية: ما بعد الحروب الصليبية.

المرحلة الثالثة: التنظيم الفعلي.

المرحلة الرابعة: ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وهذه المراحل كلّها دُرست لدى الباحثين عن الاستشراق بتفاصيلها، ونحن لا يهمنا هذا الجانب بقدر ما يهمنا جهود المستشرقين في مجال الترجمات لمعاني القرآن الكريم وأهدافهم من وراء ذلك⁽¹⁾.

4- متى ظهرت كلمة «الاستشراق»؟

لا يفهم من الآراء السابقة أن كلمة ((الاستشراق)) معهودة في تلك العصور المتقدمة، وأن أعمال المستشرقين وجهودهم عرفت بتلك الكلمات والمصطلحات، بل إنّما ظهرت تلك المصطلحات في زمن متأخر جدًا كما يقول الدكتور عمر فروخ: إن كلمة ((الاستشراق)) لم تكن منتشرة ولا متداولة في تلك الفترة، إنما عرفت في اللغة الإنجليزية عام 1811م، وفي اللغة الفرنسية عام 1830م، كما أنّ كلمة ((المستشرق)) بدأت في الظهور في اللغة الإنجليزية عام 1779م، ثم ظهرت في اللغة الفرنسية بعد ذلك بعشرين عاماً⁽²⁾.

(1) من أراد التفاصيل فليراجع كتاب الدكتور الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، من ص 33-24.

(2) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، بحث مقدم للندوة العلمية عن المستشرقين بالمهند.

ويلاحظ هنا أن كثيراً من الترجمات الاستشرافية أصدرها المستشرقون قبل ظهور تلك المصطلحات. وأهدافهم من وضع تلك الترجمات واضحة وضوح الشمس من خلال ترجماتهم وكتاباتهم دون أن يلقوا في تلك الفترة بالألقاب المشهورة.

المبحث الثالث

القرآن الكريم والمستشرقون

1- تمهيد:

كان للمستشرقين عناء فائقة واهتمام كبير من جوانب كتاب الله كافة فبحثوا في نزوله ووحيه وجمعه وترتيبه وتفسيره، وفضاحته وبلاعته وأسلوبه، بل في ألوهيته وبشريته وفي كل الموضوعات المتعلقة بكتاب الله الكريم.

ولا يخلو أدب من آداب الاستشراق إلا ويعالج قضية من قضايا القرآن الكريم أو موضوعاً من موضوعاته؛ لكون القرآن مصدرًا رئيساً لدى المسلمين للشريعة الإسلامية، ولكون القرآن -في اعتقاد المسلمين- ناسخاً للكتب السماوية الأخرى.

2- صدور أول نسخة مطبوعة للقرآن الكريم في أوروبا:

ومن ضمن اهتمامات المستشرقين بالقرآن وعلومه قيامهم بطباعة النص القرآني في وقت مبكر من اختياره أوروبا لفن المطبع⁽¹⁾.

وأول طبعة للقرآن الكريم في نصه العربي يلفها الغموض في تحديد تاريخها ومكان طباعتها والجهة المشرفة عليها ومصيرها وما قيل عنها: إنها طبعت في

(1) وكان يوحنا جوتينج (1397-1468م) هو المكتشف الأول لفن المطبع في مدينة ((ماينز)) بألمانيا، وذلك عام 1436هـ/840م. د/ محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ط 1405هـ/1984م، مطبعة المدن، القاهرة.

البندقية أو روما في الفترة ما بين 1499م و1538م دون الاتفاق على تاريخ محدد.

إلا أن هناك اتفاقاً على أن هذه الطبعة أتلفت بأمر من البابا، وإذا كان هناك من الباحثين من يرجع سبب إتلافها إلى رداءة طباعتها وعدم تقييدها بالرسم الصحيح للصحف حسب ما اتفق عليه علماء المسلمين، مما جعل المسلمين يحجّمون عن اقتنائها، إلا أن تدخل البابا وأمره بإتلافها يوحي بأن هناك دافعاً دينياً أيضاً وراء إتلاف هذه الطبعة⁽¹⁾.

وأول طبعة للقرآن بقيت بدون إتلاف هي تلك التي قام بها إبراهام هنكلمان 1125هـ/1694م.

يقول يوهان فوك في تاريخ حركة الاستشراق: ((القرآن الذي حرم البابا ألكسندر 1655-1667م) نشره أو ترجمته تمت طباعته في نهاية القرن 17) مرتين على التوالي بفواصل زمنيّ قصير، مرّة في سنة 1694م من قبل راهب من مدينة هامبورج⁽²⁾ يدعى إبراهام هنكلمان (1652-1695م)، ومرة أخرى في سنة 1698م من قبل لودفيجو ماراتشي⁽³⁾ .

(1) أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي: تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته، ص 51-52، نقاً عن الدكتور: يحيى محمود بن جنيد: الطباعة في شبه الجزيرة العربية، ص 516-520.

(2) هامبورج، تقع في مدينة ألمانيا باسم المطبعة سكلوتوبيو، أ.د. عبد القهار: الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص 22.

(3) يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة عمر لطفي العالم، ص 97.

والطبعة التي قام بها إبراهام هنكلمان هي أول طبعة للنص الكامل للقرآن الكريم بحروف عربية، وانتشرت ولا تزال توجد منها نسخ في بعض مكتبات أوروبا.

وقد استغرق نص القرآن في هذه الطبعة (560) صفحة، وإبراهام هذا مستشرق ألماني ينتمي إلى الطائفة البروتستانتية، وقد حدد هدفه من هذه الطبعة بأنه ليس نشر الإسلام بين البروتستان، وإنما التعرف على العربية والإسلام⁽¹⁾. ولكن النسخة التي حظيت بالشهرة والذيع بسبب جودتها وتطور حروفها هي الطبعة الكاملة للقرآن الكريم التي قام بطبعها لودفيجو مراتشي Ludvico Marracci⁽²⁾ وكان معروفاً للبابا أنوست الحادي عشر، وطُبعت في مدينة ((باتافيا)) بمطبعة السيمنازيين سنة 1698 وهي التي أشار إليها ((يوهان فاك)).

وقد تمت طباعة سور مختارة قبل التاريخ المشار إليه وبعده في جهات مختلفة في أوروبا، يقول الدكتور عبد القهار العابي: إنه نشرت مختارات من القرآن الكريم في برلين سنة 1701 م بالعربية والفارسية والتركية واللاتينية قام بنشرها

(1) أ.د. محمد سالم العوفي: تطور كتابة المصحف وطبعاته، ص 52، والأستاذ الدكتور عبد القهار: الاستشراق والدراسات الإسلامية ص 22.

ويقول الدكتور يحيى محمود بن جنيد: إنه ثمة نسخة في دار الكتب المصرية، برقم 176، ونسخة أخرى في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض هي طبعة Hamburg هامبورج. الطباعة في شبه الجزيرة ص 522.

(2) ولوبيجي مراتشي بالإيطالية، ولودفيج بالألمانية، ولويس مراتشي بالفرنسية، وماراكيوس باللاتينية، وكلها أسماء لشخص واحد. الدكتور: حسن المعيارجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، ص 57.

أندريا أكولوتوس اللاهوتي، وأستاذ اللغات الشرقية في براتسلافا، وتقع في (57) صفحة ويورد في العنوان أن النص العربي حقق على ثلاثين مخطوطاً⁽¹⁾.

ومهما يكن من أمر، فإن الواقع التاريخي المـَّر الذي أثبتته جهود هؤلاء المستشرقين في سبيل إخراج النص القرآني مطبوعاً كان مجرد كونه وثيقة تاريخية ثمينة تاريخية باعتبارها مبدأ أساسياً لإيمان وعقيدة أولئك الذين ملكوا العالم وملأوه بحضارتهم وثقافتهم، ولم يقوموا بطباعة القرآن بصفته وحيـًا مُنـَزِّلاً من الله سبحانه وتعالـى.

هذا ما ينبغي مراعاته عند القراءة في دراسات المستشرقين أو مناقشتهم حتى لا يحصل الخلل في الفهم والنتائج.

(1) أ.د. عبد القهار العاني: الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص 23.

المبحث الرابع

الترجمات الاستشرافية

لمعنى القرآن الكريم ونشأتها

سبق أن أشرنا إلى أن الترجمات الاستشرافية لمعاني القرآن الكريم الصادرة من الغرب وأوربا هي التي تدخل في إطار بحثنا، كما أن بعض الباحثين يرى أن تاريخ الترجمات الاستشرافية هو نفسه تاريخ ولادة الحركة الاستشرافية.

ولكي نقف على أهدافها ودفاوعها نلقي الضوء على بعض الترجمات الاستشرافية الهامة على وجه التمثيل لا الحصر.

1- الترجمة اللاتينية:

يدرك المؤرخون أن حركة الترجمة الاستشرافية يعود تاريخها إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، فأول ترجمة كاملة تلك التي دعا إليها ورعاها رئيس دير كلوني (Cluny) بطرس الطليطلبي⁽¹⁾ (ت 1156م)، وقام بها رهبان ريتينا وعلى رأسهم روبرت أوف تشير⁽²⁾ (Robert of Chester) الذي

(1) بطرس هو الملقب ((بالختم)) من أشهر رجال الدين المسيحي، وكان رئيساً لدير من أهم الأديرة في أوروبا وهو دير كلوني في فرنسا، وقد أجزل بطرس هذا العطاء للمترجمين تقديرًا لجهودهم في إنجاز الترجمة: أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق نقلاً عن د/قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص 21-23 و 63-78.

(2) اشتهر من عام 1141م إلى 1148م من أهالي كيتون، دخل الراهبانية ال Benedictine وعيّن أسقفاً على بامبلونة 1143م، وفي الأندلس تتقدّم بالثقافة العربية. نجيب العقيقي: المستشرقون 1/113.

كان إنجليزي الأصل، وهرمان الدلماطي Hermann Alemanus⁽¹⁾ من أصحاب صومعة (الدلماطيا) وراجع هذه الترجمة اللاتينية ببيردي بواته وتمت هذه الترجمة في سنة 1143هـ/1528م.

وبقيت هذه الترجمة الخطية محفوظة في صومعة الراهب بطرس المذكور طيلة أربعة قرون، ثم طبعت في ((بازل)) (سويسرا) سنة 1543م، وطبعت طبعة ثانية في بازل أيضاً في سنة 1553م والذي قام بنشر هذه الترجمة اللاتينية هو ((تيودر بيلياندر)) في ثلاثة أجزاء T.Bibliander وكان لاهوتياً من زيورخ (سويسرا)⁽²⁾.

ويقول الأستاذ عبد الله عباس الندوبي: إن هناك رواية أخرى حول هذه الترجمة التي قام بها الرهبان باللاتينية تقول: إن بعض الرهبان من إيطاليا وألمانيا أحرقوها خائفين من تأثير القرآن في عقول الناشئة وضعاف الإيمان من الرهبان. أما الترجمة التي طبعت عام 1553م في مدينة بازل فهي الترجمة الأخرى التي قام بها الآخرون من رهبان إيطاليا الكاثوليكين⁽³⁾.

وفي سنة 1689م ظهرت الترجمة اللاتينية الأخرى التي قام بها مع النص العربي المستشرق ((لودفيجو ماراشي))⁽¹⁾ Ludvigo Marracci وأضاف ليوجي

(1) زميل روبرت في رهبنته ودراسته وترجمته وقد عين رئيساً لشمامسة سريابيلونا ثم راعياً لكنيسة شيني 1143-1141م ثم أستقراً على أستورحة، وتوفي 1172م. نجيب العقيقي: المستشرقون 1/113.

(2) موسوعة المستشرقين، ص 305، عبد الرحمن بدوي، ط ، دار العلم للملائين، بيروت، 1989م؛ ودراسة حول ترجمة القرآن الكريم، د/مهنا ص 83-84؛ والمستشرقون للعقيقي 1/113.

(3) ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند العرب استناداً إلى محاضرة الشيخ عبد الحليم في جامعة رابخو، طبع لاهور، 1922م.

بعض الاقتباسات من التفاسير المختلفة اختيرت بعناية لتعطي أسوأ انطباع عن الإسلام للأوروبيين، وقدم لترجمته بجزء كامل ضمنه ما سماه ((تفنيد مزاعم القرآن)). يقول الشيخ عبد الله عباس الندوی: إنه لا يعرف أحد من معاصريه ومن بعده المراجع التي استفاد منها أثناء عمله للترجمة فلم يكن ثمة قاموس عربي أو كتاب عربي في مكتبه التي بيعت بعد موته، وكان مستشاراً للأسقف العاشر Pope Innocent وأهدى ترجمته إلى إمبراطور الروم ليوبولد الأول⁽²⁾.

2- الترجمة الإيطالية الأولى:

بعد أن فتحت الترجمة اللاتينية باب الهجوم توالت الترجمات الأوروبية واحدة تلو الأخرى.

ففي عام 1547 ظهرت عن هذه الترجمة اللاتينية ترجمة إيطالية قام بها أندریا أریفایینی فی فینیسیا⁽³⁾ وهي تقع في 150 ورقة من الحجم الصغير وادعى المترجم أنه اعتمد في ترجمته على الأصل العربي للقرآن مباشرة لا عن الترجمة التي نشرها بیلیاندر⁽⁴⁾.

3- الترجمة الألمانية الأولى:

(1) لودفيجو ماراتشي سبق ذكره (ص15-16) وهو الأب ماراكیوس 1612 - 1700م، تعلم العربية والعبرية وكتب كتاباً عن الإسلام باللغة الإيطالية، وكتب دارسة عن الإسلام وجعلها مقدمة لنشر القرآن متّأ وترجمة بالإيطالية. الندوی: ترجمات معانی القرآن الكريم ص29.

(2) الندوی ، ترجمات معانی القرآن الكريم ص30

(3) أ.د عبد القهار: الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص24.

(4) الدكتور: حسن معايرجي : الهيئة العالمية للقرآن الكريم، ص51.

كانت ترجمة أريفايني الإيطالية مصدراً لأول ترجمة ألمانية قام بها سلمون شفايجر الذي كان قسيساً واعظاً، كنيته فراون كيرشة Frauenkirche، في نورمبرج سنة 1616م وهذه الترجمة الألمانية بطبعه شفايجر أعيدت طباعتها في عام 1623م، ثم عام 1659م، ثم عام 1664م⁽¹⁾.

4- الترجمة الهولندية:

كانت الترجمة الألمانية الآنفة الذكر مصدراً لأول ترجمة باللغة الهولندية وقام بها رجل مجهول عام 1641م وطبعت في هامبورج. وهذا يعني أن هناك ثمان طبعات في أربع لغات كلها من مصدر واحد، وهي ثلاثة طبعات باللاتينية وثلاث بالألمانية لشفايجر، وواحدة بالإيطالية وواحدة بالهولندية⁽²⁾.

5- الترجمة الفرنسية الأولى:

قام المستشرق أندريه دي ريو Andre Du Ryer المولود عام 1580م والذي كان قد صلا في الإسكندرية بمصر بترجمة معاني القرآن الكريم في جزئين مدعاياً أنه يجيد اللغة العربية، وأنه تحمل مشقة أول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية كأول ترجمة للقرآن الكريم؛ هذا ما أفادنا به د.معاييرجي بعدهما عانى - كما

(1) الدكتور: حسن معايرجي: الهيئة العالمية للقرآن الكريم، ص 51.

(2) المصدر نفسه.

يقول - في سبيل الحصول على هذه المعلومة عناءً شديداً، ثم تسأله الدكتور: هل دي ربور ترجم حقاً عن العربية أو كانت مصادر أخرى تعينه على ترجمة النص العربي بالصورة الرهيبة الممزقة التي وصل إليها؟

وهل كان على غير علم بالترجمات التي ظهرت قبلها في اللغات الأوربية؟ وهل يُعد عمل دي ربور بداية في ذاته مثل ترجمة دير كلوني دون التأثر بالترجمات التي سبقته؟ ومهما كان الأمر فإن ترجمة أندريله دي ربور هي الأولى في اللغة الفرنسية، قام بوضعها سنة 1647⁽¹⁾.

ويقول الدكتور: عبد الرحمن بدوي في موسوعته: إن هذه الترجمة الفرنسية نقلت إلى لغات أخرى، الإنجليزية والهولندية، ومن الهولندية إلى الألمانية أيضاً⁽²⁾.

6- الترجمة الفرنسية الثانية:

تعد ترجمة سافاري من أهم الترجمات التي صدرت باللغة الفرنسية، وقد قدم لها المستشرق الفرنسي كاردون، ونوه بدقتها ووضوح أسلوبها وروعته مع أمانة الضبط، وعاش هذا المترجم في القرن الثامن عشر الميلادي وصدرت أول طبعة من ترجمته سنة 1772م، ويدرك عن نفسه أنه أتم هذه الترجمة بمصر تحت بصر العرب الذين عاش معهم كثيراً من السنين وتحادث معهم ودرس عادتهم وعظامه لغتهم التي يمتاز فيها

(1) د. معايرجي: الهيئة العالمية للقرآن الكريم، ص 52-53.

(2) موسوعة المستشرقين، البدوي، ص 305.

القرآن بجمال الأسلوب وروعه التصوير، وقد وضع في مقدمة الترجمة دراسة عن حياة الرسول صلی الله علیه وسلم⁽¹⁾.

7- الترجمة الإنجليزية الأولى:

طاعت لأول مرّة ترجمة إنجليزية في عام 1649م منقولة عن ترجمة فرنسية في مطبعة يونيفرسل بإنجلترا، وكانت تصدر مجزأة إلى عام 1688م، بدأ بترجمتها إلى الإنجليزية ألكسندر روز Alexander Ross ثم تبعه ر. تيلور R.Tailor وسماها ألكسندر ((قرآن محمد)) The Alcoran of Mohamet وطبعت هذه الترجمة بكاملها في عام 1718م في لندن⁽²⁾.

وتحتة نسخة من هذه الطبعة في مكتبة المتحف البريطاني ولغتها وأسلوبها غامضان ملن لم يألف قراءة الكتب القديمة⁽³⁾.

8- أقدم ترجمة إنجليزية من العربية:

أما أقدم ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم من اللغة العربية مباشرة فهي التي قام بها ((جورج سيل)) Sale⁽⁴⁾.

(1) الأستاذ يوسف الحمداني: ترجمة معاني القرآن الكريم من بعض الفرق الضالة ص 9-8، طبع بمجمع الملك فهد 1423هـ.

(2) عبد الله عباس الندوبي: ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند العرب، ص 32.

(3) د. هيثم ساب: دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم، ص 3.

(4) جورج سيل (1697-1736م) كان محامياً درس اللغة العربية في أوقات فراغه، واقتني مجموعة وافرة من الكتب العربية، ومن آثاره العلمية: ترجمة القرآن الكريم مع مقدمة مساعدة عن الدين الإسلامي حشها بالإنكليزية، وقد نقلها إلى العربية أمين الماشرم العربي، طبعت بالقاهرة 1973م. عبد الله عباس الندوبي، ترجمة القرآن الكريم ص 32.

وقد ظهرت هذه الترجمة في لندن عام 1734م وحظيت بانتشار واسع منذ ظهورها حتى اليوم، وأعيد طبعها مرات، وكانت الطبعة الثانية في لندن عام 1764م في مجلدين.

ويقول الشيخ عباس الندوبي: ((إن الشيخ عبد الماجد كان واهماً عندما أحسن الظن في هذه الترجمة وأطري في المدح والثناء؛ لأن المستشرق سيل لم يكن أقلّ حقداً على الإسلام منبني جلدته من المستشرقين غير أنه أكثر دهاء وذكاء منهم)).⁽¹⁾

(1) ترجمات معاني القرآن الكريم، ص 3-34، والشيخ عبد الماجد هو الدرية بادي من علماء الهند، صاحب التفسير الماجدي بالأردية والإنجليزية.

المبحث الخامس

الدوافع والأهداف للترجمات الاستشرافية

تمهيد:

هذا هو أهم المباحث التي تدور حولها دراستنا وآخرها. وإن الدرس في الحقيقة ليختار في واقع الأمر عندما يرى صنيع المستشرقين في تراث المسلمين، وأقباهم الشديد إلى ترجمة معاني القرآن الكريم، وتعتيريه الدهشة عندما يلحظ طرائقهم في الترجمة ويتساءل عن طبيعة توجه ذلك الباحث الغربي المستشرق الذي يجهد نفسه في دراسة عالم غريب عنه، يسافر ويكتابد في سبيل تعلم اللغة الغربية عنه، وربما ترك وطنه وجاهه وما له بل وأهله في سبيل نيل مخطوطاته لنسخة القرآن الكريم أو ترجمة معانيه أو الحصول على نسخة من كتاب المسلمين الذين يحملون عقيدة ودينا مختلفاً تماماً عن دين ذلك الغربي، لم كل هذا؟ وفي سبيل ماذا؟ وإلام يهدف؟ تساؤلات محيرة! حتى إن بعضهم -كما يقول العقيقي- جوزي على عمله بما كان يجزى بعض العلماء قدימה من الضرر والسجن، فميكانيل سكوت نالته ريبة من ترجمة ابن رشد، وروجر بيكون سجن باعتماده على الفلسفة الشرقية، وبولستن كان أعلم مستشرق في عصره يجله الملوك والأمراء

اعتل في سبيله، وسيمون أوكلبي انقطع لتدريس العربية في كمبريدج انقطاعاً عاد عليه وعلى أسرته بالإفلاس والسجن⁽¹⁾. وهكذا الكثير والكثير عانى معاناة شديدة في سبيل الاستشراق وطلب علم الشرق، تحقيقاً وتاليفاً وكتابة وترجمة وتصنيفاً.

حتى قال العقيلي مستغرباً: ((لو أن أحدهم -المستشرقين- انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة أو جمع طوابع البريد النادرة أو كتابة القصص البوليسري بدل التحقيق والترجمة والتصنيف، لخرجت به من تلك الجزر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الربح في القرن العشرين، ولعادت عليه برخاء من العيش وشهرة بين الناس وسلامة من النقاد))⁽²⁾.

انتهى كلام العقيلي وهو كعادته معجب بالمستشرقين، ولا يرى الدافع الحقيقى للاستشراق إلا الدافع العلمي لا غير. الواقع خلاف ما يرى، كما سيأتي، ولاسيما فيما يتعلق بترجمة معاني القرآن الكريم.

1- اعتراف ببعض جهود المستشرقين العلمية

لاشك أن عدداً من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقتهم لدراسة العلوم الإسلامية وتبناوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية

(1) المستشرقون ، للعقيلي. 3/ص 604

(2) المستشرقون ، للعقيلي. 3/ص 605

واقتصادية أو دينية، بل مجرد شوقهم وشغفهم بالعلم فبذلوا فيه جهوداً ضخمة، فيكون من المكابرة والتقصير ألا ينطلق اللسان ب مدحها والثناء عليها، وبفضل جهودهم بز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة، وأصبحت مصونة من الوراثة الجاهلين وعاهة الأرض، وكمن مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقررت بها عيون العلماء في الشرق⁽¹⁾.

كان الله سخرهم لأداء هذه المهمة في حين غفلة من أهلها.

وعلى الرغم من هذا الاعتراف بفضلهم وعلمهم لابد أن نعلن بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف ومواطن الشبه والمتتابعات في الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامي، ثم إبرازها لأغراض دينية أو سياسية أو غيرها، وكثير من هؤلاء المستشرقين يدوسون في كتاباتكم السُّم ويخترسون في ذلك فلا يزيد علي النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارئ ولا يثير ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف. إن كتابات هؤلاء أشد خطراً على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكشفون بالعداء ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها أو ينتهي في قراءتها دون الخضوع لها⁽²⁾.

(1) الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين أبو الحسن علي الندوي ص 16-17

(2) المصدر السابق ص 20.

2- السبب الحقيقي لإعداد الترجمات القرآنية:

ما سبق من العرض الموجز لبعض الترجمات الاستشرافية الأوربية، تبين لنا أن حركة الاستشراق التي تدير زمام ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الغربية والأوربية إنما جاءت إبان وصول أشعة شمس الإسلام إلى سماء أوروبا، ونتيجة للصراع الذي نشب بين الشرق والغرب من أجل سيطرة أحدهما على الآخر ثقافياً وحضارياً وعقدياً وعلمياً، إلا أن السبب الرئيس وال حقيقي لظهور الترجمات القرآنية هو القرآن نفسه فيما أرى؛ لأنه الكتاب المعجز الذي هز كيان مخالفيه وززع عقيدتهم، فهو ينادي أهل الكتاب وبخاطبهم باسمهم: ﴿ قُلْ يَأَهِلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شُرِكَ لِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ٦٤]

وكانت البشرية تحمل أو تتجاهل إلى حين نزول القرآن حقيقة ما تحمله دعوة الأنبياء عامة ودعوة أنبياءبني إسرائيل خاصة، وهي من معين واحد، وهي سر انطلاقة العرب ونضالهم، بل هي سر عزة المسلمين وقوتهم.

والقرآن العظيم إذ أثبت هذه الحقيقة بين بوضوح بأنه يدعو الناس جمياً عرباً وعجماً، وأن ما بشرت به الكتب السماوية السابقة ببعث النبي هو هذا الذي نزل عليه القرآن؛ كما أن القرآن الكريم أكد بتتشبيهه بلغ أن أهل الكتاب

يعلمون تلك الحقيقة دون أدنى ريب ﴿الَّذِينَ إِاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾ [البقرة: ١٤٦].

وعندما اتجه المستشركون إلى تعلم اللغة العربية ثم درسوا القرآن الكريم زاد علمهم بحقائق القرآن ووصلوا إلى عين اليقين، ولكن عمى البصيرة حَوَّلَمْ إلى العناد والمكابرة، حتى انفجرت تلك العداوة بوصفها ردة فعل فهُبُوا مُحاربة القرآن بكل ما أوتوا من قوة، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ أَلْيَهُودٌ وَلَا أَنْصَارَى حَتَّى تَبْيَغَ مِلَّتَهُم﴾ [البقرة: ١٢٠]

فهذا الراهب اللاهوتي المسيحي الفرنسي الذي تولى كبر أول ترجمة لاتينية ترقى في سلك الرهبنة حتى أصبح رئيساً لدير كلوني Cluny في فرنسا، وكان لهذا الدير فروع كثيرة في أوروبا، من أشهرها فرع طليطلة في إسبانيا، وعندما سقطت طليطلة في أيدي النصارى سنة 1085م نشأت فيها حركة صليبية قوية لحرب الإسلام وال المسلمين في الأندلس، وكان مركز هذه الحركة دير كلوني الذي سيطر عليه الرهبان ال Benedictines بقيادة بطرس الملقب بالمحترم، وبعد عشر سنوات من سقوط طليطلة عقد مجمع كليرمون سنة 1095م الذي أقر وجوب حرب المسلمين في الأندلس، وفي فلسطين، وهذه الحركة التي تزعمها رهبان دير كلوني رأت في انتشار الإسلام غضباً إلهياً يجب التكفير عنه بالدعوة إلى حرب المسلمين، فكان رهبان دير كلوني يرافقون الجيش الصليبي في الأندلس، لتحطيم كل شعائر الإسلام وأثاره، وإحلال شعائر المسيحية محلها.

وفي الرحلة الثانية التي قام بها بطرس المذكور إلى إسبانيا سنة 1141 قرر أن يقوم بخدمة كبيرة للنصرانية، وتلك الخدمة هي ترجمة معاني القرآن الكريم

لأول مرة إلى اللغة اللاتينية، فلجأ إلى مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية في طليطلة، وكلف بهذا العمل أشخاصاً كان من أشهرهم القسيس الإنجليزي روبرت أوف كيتون، وتمت الترجمة في يوليه 1143م⁽¹⁾، ولكن السبب الحقيقي لوضع ترجمات القرآن هو نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، كان موقف المستشرقين في ترجماتهم حيال القرآن الإنكار الشديد والرفض التام

في نسبته إلى الله ﷺ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرَنَا وَأَعْنَاهُ، عَلَيْهِ قَوْمٌ أَخَرُونَ فَقَدْ جَاءُهُمْ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ [الفرقان: ٤] وقد ظهر هذا جلياً في ترجمة مستشرق آخر اسمه جورج سيل، فقد سمى القرآن (قرآن محمد) وأن محمداً هو الذي أَلَّفَهُ باحتيال ومكر معونة الآخرين ويقول: ((أَمَّا أَنَّ مُحَمَّداً كَانَ هُوَ حَقِيقَةُ مَوْلَفِ الْقُرْآنِ وَالْمُخْتَالِ الرَّئِيْسِيِّ (فِي تَأْلِيفِهِ) فَهُوَ أَمْرٌ لَا خَلَافٌ فِيْهِ))⁽²⁾.

ومع أن هذا المترجم جاء متأخراً، إلا أن ترجمته تعد من أشهر الترجمات في اللغة الإنجليزية، وقد وضع مقدمة بين يدي ترجمته وحشد فيها الافتراءات على القرآن، منها: أن القرآن ليس وحياً، وأنه ليس فيه إعجاز، وأنه يحتوي على التكرار والتناقض، وأنه مستمد في معظمها من اليهودية⁽³⁾، وما إلى ذلك من

(1) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق ص 54-55 نقل عن د: قاسم السامرائي ((الاستشراق بين الموضوعية والفعالية)) ص 57-58.

(2) نقل هذه المعلومات من ترجمة جورج سيل. الأستاذ أحمد غراب في كتابه ((رؤية إسلامية للاستشراق)) ص 32-35

(3) المصدر نفسه.

الأوصاف التي لا تليق بكلام الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

3- الأهداف الاستشرافية لوضع الترجمات:

قد أطّال الباحثون في دراستهم حول الاستشراق عامة، وحول موقفهم تجاه كتاب الله خاصة حتى نوعوا وقسموا الأهداف إلى عدة أقسام: الدينية والعلمية والاستعمارية والاقتصادية والسياسية والتاريخية والأيديولوجية.

وإذا أمعنا النظر في الأهداف التي وضع المستشرقون لأجلها ترجمة معاني القرآن الكريم نجد أنها لا تتجاوز هدفين أساسين:

أولاً: البحث الحر والاستفادة العلمية

ثانياً: المدم والتشكيك والتضليل نصرة للنصرانية واليهودية

الهدف الأول:

ركز بعضهم على الاطلاع على كتاب الله المعجز، والقيام بترجمته إلى لغتهم باسم البحث الحر؛ وذلك لأجل الاستفادة العلمية من علوم و المعارف تلك الأمة التي سادت العالم بحضارتها و ثقافتها المبشرة من الكتاب الذي يحملونه، وهو أساس عزهم و سر نهضتهم، والتحقق من مدى صحة ما يحويه هذا الكتاب من الحقائق العلمية والكونية والعقائد السماوية ومدى توافقها مع الكتب المنزّلة السابقة.

ولا غرابة في ذلك؛ لأنهم يرون عالماً جديداً يحمل تراثاً عظيماً، ويصور ذلك لنا الكاتب محمد حسين هيكل وهو يتحدث عن الصراع بين الشرق والغرب، فيرى أنه اخذ شكلاً جديداً بسبب ظهور الإسلام الذي أخذ يشق طريقه نحو هدفه غير مبال بالأنحطاط المدققة من كل جانب، فقد ظهر الإسلام

في موطن يسيطر عليه العرب الوثنيون، واليهود المقيمون في الجزيرة يتربصون به، والمحوس على مقرية منه، والنصارى في شماله وجنوبه وبين ظهرانيه، ولكن الدعوة الجديدة لم تلبث أن ظفرت بهذه القوى جمِيعاً، ففي أقلّ من مائة سنة عقب وفاة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- امتدَّ سلطان الإسلام إلى الشام وإلى مصر وإلى شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلنطي، وانتقل من مراكش إلى إسبانيا، كما امتدَّ في قلب آسيا حتى أواسطها في فترات متقاربة متقاربة، وبعد ذلك امتدَّ إلى الهند وإلى حزر الهند الشرقية، وبذلك قامت في العالم إمبراطورية إسلامية متراجمية الأطراف، انتقلت عاصمتها من المدينة إلى دمشق ثم إلى بغداد ثم إلى القاهرة، وأحييت في العالم حضارة جديدة انكمشت أمامها الحضارات الفارسية واليونانية والرومانية، ووقفت المسيحية خائفة تتربَّص⁽¹⁾.

ومن هنا أقبل جمع من المستشرقين المعجبين بهذه الحضارة إلى الشرق وإلى تراثهم الإسلامي وإلى أعظم ما يملكون وهو كلام الله للاستفادة والتعلم باسم البحث الحر، وهذه الاستفادة تتبعها فوائد مادية أخرى، إلا أن البعض كان يهتم بالجوانب العلمية والمعرفية أكثر من غيرها، وأقبلوا على دراسة جميع جوانب القرآن، وهذه الاستفادة عند معظمهم - مع الأسف - وقفت عند الحد المعرفي ولم تتجاوز إلى الجانب التطبيقي العلمي العقدي رغم أن بعضهم توغلوا في علوم الإسلام حتى القضايا الجزئية منها، وأفرغوا لها جهودهم وأصبح منهم قادة وتلاميذ ومشايخ يأخذون عنهم ويستدللون بآرائهم ويسيرون على منهجهم،

(1) محمد حسين هيكل: الشرق الجديد ص 17.

لكتنا لا نجد أحداً من أقبل على ترجمة معاني القرآن الكريم أنصف في عمله، وأراد الإفادة والاستفادة معاً، ما عدا ما قيل عن المستشرق آرثوج. آريري: كما أفادنا بذلك د. هيثم ابن عبد العزيز ساب الذي Arthur J. Arberry يقول في بحثه عن ترجمة آريري: إنها مختلفة تماماً عن الترجمات الاستشرافية الأخرى؛ لأن فيها جانب إنصاف للقرآن الكريم من جهة الدفاع عنه ولفت النظر لبلاغته وقوّة عبارته وروعة أسلوبه، وصاحب هذه الترجمة مستشرق غير مسلم وهو مستشرق إنجليزي قام في عام 1974م بأحدث ترجمة إنجليزية راقية لمعاني القرآن الكريم وأطلق عليها عنوان: The Koran InterPreted القرآن متربماً.

ويقول الدكتور هيثم: ((إن آريري دافع في مقدمة هذه الترجمة دفاعاً مستميتاً عن القرآن الكريم وفضحاته وقوّة عبارته وجمال أسلوبه ضدّ افتراءات المستشرقين)) ومن أبرزهم تومس كارلайл Thomas Carlyle إذ وصفه بالوحشية لعدم تذوقه لبلاغة القرآن وعدم فهمه لنصوصه على الرغم من أن آريري لا يؤمن بأن القرآن كلام الله، بل هو عمل قوّة ما خارقة Supernatural Power Margoliouth وجّب إلا أنه يثبت بطلان زعم المستشرقين أمثال مارجليوث Margoliouth Gibb أن القرآن هو كلام محمد صلى الله عليه وسلم.

ويقول الدكتور هيثم: ((إنه لا ينفي وقوع آريري في الأخطاء اللغوية بأنواعها)).⁽¹⁾.

(1) دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (القرآن مترجماً) للمستشرق الإنجليزي آرثر ج آريري. انظر المقدمة.

فالاستفادة من تراث المسلمين -بوصفه عملا علميا- كان من ضمن الأهداف الرئيسة للمستشرقين عندما أقدموا على جمع تراث المسلمين، ومن بينها الكلام المعجز القرآن الكريم، ولو لم ينج أحد منهم من استغلال الفرصة في أثناء دراسته للقرآن الكريم، أو أيّ تراث من تراث المسلمين، للحفاظ على هويته والانتماء إلىبني جنسه، إما لعدم توفيق الله له لمعرفة الحق والمداية إليه، أو لعدم الفهم الدقيق باللغة العربية وأسرارها وما لها من مدلولات وجمايل وروعة، ومن هنا حانبوا الصواب، ونحن لا نعمم الحكم على جميع المستشرقين في تعصبيهم، ولو كان الواقع المؤرث يرجح ذلك -كما أسلفنا- وبخاصة فيما يتعلق بترجمة معاني القرآن الكريم.

الهدف الثاني:

أما الهدف الثاني من الأهداف الرئيسة والأساسية التي جعلت المستشرقين يقدمون على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية هو حبّ الانتقاد والمعارضة لأجل التشكيك والهدم والتضليل؛ وأصحاب هذا المهدى تغلب عليهم العصبية العمiale لدينهم، والكراهية والبغضاء تجاه القرآن وأهله، كما نلمس ذلك من خلال ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم ودراساتهم الأخرى، فلا نكاد نجد ترجمة معاني القرآن الكريم -كاملة أو جزئية- وضعت على يد مستشرق إلاّ وتشن غارات شرسه تستهدف أصالة القرآن الكريم ممزوجة بالافتراءات والشبهات والدعوى الباطلة.

وقد ذكر الباحثون أمثلة كثيرة من واقع ترجمات المستشرقين على تنفيذ هذا الهدف المعوج، ومن ذلك ما ذكره الباحث صالح البنداق من وجوه التشويه ما يلي:

- القيام بالترجمة الحرّة، وتحاشي الترجمة العلمية، إمعاناً في التحريف والتضليل بما يتربّع عليه تحويل المعاني وتبدلها، وعرض النص القرآني كما يراه المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.

- التقديم والتأخير والحدف والإضافة.

- إزاحة الآيات القرآنية من مكانها التوقيفي لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآني⁽¹⁾.

فتترجمة بطرس التي قمت عام 1143م اضطاعت فقط بتقدیم مضمون الفكرة، ولم تكتثر بأسلوب الأصل العربي وصياغته، وقام الدافع التنصيري حائلاً أمام الوفاء بتحقيق هذا الغرض⁽²⁾.

ويقول الباحث الفيومي عن بعض طرق التضليل والتشكيك لدى المستشرقين: إن ولیم الطرابلسي (1273م) صنف جدلاً ضدّ أصالة القرآن جاء فيه: ((بعد أن مات محمد صلى الله عليه وسلم أراد أنصاره أن يعالجو العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه، فلما تبيّنوا أن الرجل الذي نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمـة لأداء ذلك على الوجه الأكمل، طلبوا إلى اليهود والنصارى الذين أسلموـا أن يساعدوه، وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقـوا فقرات مناسبـة من العهد القديـم والجديـد وأن يمزجـوها بالكتاب كيـفما اتفـق؛ وبـذا أصبحـ الكتاب على عظـيم من الرـونق والـحمل المنقول من الكـتب

(1) محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص 108، ط 2.

(2) يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق ص 17.

المنزلة ما بين مسيحية ويهودية⁽¹⁾) افتراء عظيم، وجرأة فائقة على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

4- التصرف في نصوص القرآن بالتقديم والتأخير:

ومن قام بهذا الفعل المشين المستشرق رودولف⁽²⁾، وهذا الرجل ظهرت الطبعة الأولى من ترجمته عام 1886م 1304هـ، وقد أحدث هذا المترجم بدعة في المنهج القرآني المأثور، فقد رتب سور القرآن على ترتيب زمني حسب نزولها فبدأ بسورة العلق وانتهى بسورة المائدة وزعم أن هذا الترتيب التاريخي يعطي صورة صحيحة واضحة لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العقلية والتطورات الجارية في النظريات القرآنية.

أما في توزيع السور على تواریخ نزولها فقد كان اعتماده على بحث نولدكه في كتابه: (تاريخ القرآن) (Geschichte des Qurans) (Nöldeke) ولا داعي للستغراب، فإن المترجم المشار إليه لم يبدأ عمله هذا إلا وهو يبطئ تقويض دعائم الإسلام، وإثبات مزاعمه لما ي ملي عليه حقده المتواتر ضد الإسلام ورسول الإسلام، وهذا يبدو جلياً من مقدمته وتعليقاته على ترجمته للآيات

(1) الغارة التصويرية على أصلية القرآن د. عبد الرضاي ص 31 نقاً عن محمد الغيومي: الاستشراق رسالة الاستعمار ص 368.

(2) اسمه الأستاذ ج.م. رودولف (كان أستاذا للدراسات الشرقية في جامعة كمبردج وكانت معرفته باللغة العربية معرفة سطحية): عبد الله عباس ترجمات معاني القرآن الكريم 39-40.

القرآنية. وقد صرَّح بما يومني إلى ذلك في مقدمته فيقول: ((إن التفكير في أن يكون القرآن فوق قدرة البشر خارجٌ من البحث خروجاً كلياً بالطبع))⁽¹⁾.

إضافات جديدة:

أضاف بعض المترجمين بجانب القرآن مقدمات وملحق مشوهة لكلام الله، وهي عبارة عن مقدمات تفسيرية وملحق شارحة، لا لمضمون النص المترجم، بل مناقشات ضدّ أصالة القرآن، وسخرية من محتواه.

كما في ترجمة بطرس اللاتينية الأولى: فقد أضيف عددٌ من الملحق والمقدمات المسماة بمجموعة ((ديركلوبني))⁽²⁾.

5- الدافع الديني هو المحرك الرئيس للاستشراق النصراني:

وسبب هذا التعصب يرجع إلى أن واضعي هذه الترجمات، وهم الأحبار والرهبان أو القساوسة أو المنصّرون، أرادوا أن يجعلوا القرآن سلاحاً فتاكا للقضاء على القرآن، أو منعه من الغلبة – حسب زعمهم –.

وهذا المجموع الشرس كما يقول الدكتور معايرجي: موجّه إلى الشعوب النصرانية لتحقيرها ضد الإسلام الذي انتشر واتسع نفوذه، وذلك بتشويه صورته، وتجريحه، والقدح فيه، ونقده، والتطاول عليه وعلى القرآن ونبي المسلمين

(1) المصدر السابق 41-42.

(2) د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن ص 49-50.

صلى الله عليه و سلم، مما كَوَنَ ما يشبه الجدار السميك من الأفكار السوداء على هذا الدين الحنيف.

كما أن هذا الهجوم موجه إلى المسلمين —فيما نراه— من هجمات تصويرية بشعة على أمة الإسلام كلها، وعلى الدول الإسلامية ذات الكثافة السكانية على وجه التخصيص⁽¹⁾.

ويشهد على ذلك ما قاله يوهان فلک: ((لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن))⁽²⁾ وهذا الدافع المنطلق من العقيدة الراسخة للاستشراق التنصيري هو السبب الذي وضعت لأجله الترجمة اللاتинية الأولى لمعاني القرآن الكريم، وكانت هي الشارة التي فَجَّرت قدرًا هائلًا من الترجمات في شتى اللغات الأوربية؛ وهي تتراوح بين الإسفاف والقدح الشديد في الإسلام وتحريف الكلم عن مواضعه، وبين المواربة ودق الأسافين وإثارة الشبهات⁽³⁾.

٦- المستشرقون اليهود وترجمة معاني القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ إِمَّا مُنَوِّأُ آلَّيَهُودَ وَآلَّذِينَ آشَرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]

(١) د.معاييرجي: الهيئة العالمية للقرآن الكريم ص 28-29.

(٢) يوهان فلک: تاريخ حركة الاستشراق ص 14.

(٣) المعايرجي ص 29.

وقد ظهرت العداوة من اليهود منذ ظهور شمس الإسلام على سماء مكة، حيث لم يتعرض الإسلام لهجمة شرسة من أمة من الأمم كالتي تعرض لها الإسلام من اليهود، واتخذ هذا الهجوم أوجهاً مختلفة تمس العقيدة بالدرجة الأولى، ثم الثقافة والحداد والعسكرية، ولليهود إقبال كبير على الساحة الاستشرافية، ويتربيون المسلمين الدوائر ويترصدون دائماً وعبر التاريخ الإسلامي التغرات وأماكن الضعف التي كانت تعترى مسيرته.

ويصعب علينا تحديد بداية نشاط اليهود في الاستشراق؛ لأن نشاطهم انصراف في بوقعة التطوير والتصور العام لهذا الميدان في أوروبا؛ فقد استطاع المستشرقون اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشرافية الأوروبية النصرانية، فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي، وبذلك كسبوا مرتين:

- كسبوا أولاً: فرض أنفسهم على الحركة الاستشرافية كلّها.
- وكسبوا ثانياً: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى⁽¹⁾.

ويشير الدكتور البهـي: إلى ملاحظة بعض الباحثين حول تفسير أسباب إقبال اليهود على الاستشراق، وتلخّص هذه الملاحظة في أنهم أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وسياسية:

(1) د. محمود زقوق: الاستشراق والخلفية الفكرية ص 52-53.

- أما الأسباب الدينية: فإنها تتمثل في محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه، وذلك بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول.

- وأما الأسباب السياسية: فإنها تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً ودولة ثانياً⁽¹⁾.

وإن خدمة المستشرقين اليهود للصهيونية، وتركيزهم على تحطيم الإسلام تبدو في الواقع بارزة تماماً في معظم البحوث التي تتناول الإسلام عامة، وعلوم القرآن والترجمات القرآنية خاصة.

7- الترجمات الاستشرافية اليهودية وأهدافها:

إنَّ الأهداف الرئيسة المشار إليها من التشكيك والتشويه والتحريف والتقطيع والتأخير والتصحيف هي التي يشتراك فيها المستشرقون اليهود مع النصارى في مجال ترجمة القرآن الكريم.

يقول الدكتور محمد صالح وهو يتكلّم عن دور المستشرقين اليهود في ترجمة معاني القرآن الكريم: ((إن أول ترجمة موضوعة من قبل البطرس عام 1143م فقد كلف روبرت أوف تشرت وهرمان دلاتا، وقام الأول بوضع ترجمة للقرآن الكريم وقام الثاني بكتابة مقدمة حول الرسول صلى الله عليه وسلم ومبادئ الإسلام...)) ثم قال: ((ولم يكن من قبيل الصدفة أن النسخة الأولى من

(1) الفكر الإسلامي ص 534.

هذه الترجمة طبعت بمدينة بازل لصاحب مطبعة ودار نشر يهودي عام 1550م.

وبعد ذلك أخذت الترجمات تتواتى بالعديد من اللغات، ومنها العبرية التي وضعها حاخام جريدة رانتي يعقوب بن إسرائيل عام 1634م نقلًا عن الترجمة اللاتينية⁽¹⁾.

فالاستشراق اليهودي شارك في مجال الترجمات مستهدفاً المجموع والهدم ما يمكن بالكذب والافتراء والتحريف والتبديل، انظر إلى تلك العبارة اللاذعة من يهودي بارز وهو مجري الأصل اسمه ((جولدتساير)) وهو يطعن في التفسيرات الإسلامية التي هي المرجع الأساس للترجمات القرآنية مقللاً من أهميتها، ومشككاً في موضوعيتها، حين قال متباححاً: (لقد أعطى المفسرون النص القرآني أكثر مما أعطاهم)⁽²⁾. وهذا المجموع الشرس موجه لكتاب الله الكريم أولاً، ثم إلى تفاسيره؛ لقد أراد بذلك إرواء غيظه وحقده فحسب، ولكن الحق يعلو شامخاً ولا يعلى عليه.

ومن أهداف الاستشراق اليهودي أيضاً: التقليل من مكانة القرآن و شأنه، ورفع مكانة العهد القديم؛ لذا كان المستشرقون اليهود وغيرهم يتعاملون مع

(1) د. ناول عبد الهادي: الاستشراق اليهودي نقلًا عن د. محمد صالح البنداق (المستشرقون وترجمة القرآن الكريم) ص 96. ويرى د. ناول أن أوبرت وهمان كانوا يهوديين. هذا خلاف ما ذهب إليه وأقره نجيب العقيقي والبدوي وغيرها من الباحثين من أن بطرس كان يهودياً في الأصل ثم تنصر، كما قال د. التمسوني. تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم ص 16) نقلًا عن الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني 132-133/1) الحاشية.

(2) عمر لطفي العالم: المستشرقون ص 121) نقلًا عن مذاهب التفسير ص 187).

القرآن الكريم بوصفه نصاً تراثياً عادياً. وقالوا: إنه مأخوذ باللفظ والمعنى من كتب اليهود، كما فعل المستشرق اليهودي إبراهام جايجر في محاولة منه لإثبات نظريته الشيرية بأن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على كتب اليهود بلغاتها المختلفة، التوراة، والمكتوبات، والأنبياء، والمشنا، والجمارا والتلمود، والمدارس، والترجمون، وغير ذلك⁽¹⁾.

وافتضلت دراسة جايجر اقتباس الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من التعاليم والمفاهيم والأراء منذ زمن بعيد ضمنها قرآنها بما يناسب التصورات التي كانت سائدة في عصره، وأن قصص العهد القديم تحتل الجانب الأكبر من القرآن⁽²⁾.

ويؤكد المستشرق اليهودي المجري جولدتساير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء⁽³⁾.

لذا كان هذا اليهودي يرى أن حمدًا صلى الله عليه وسلم لا يتعدي كونه مصلحاً للشعب العربي فقط من الوجهة التاريخية كما ينقل عنه الباحث محمد شريف الشيباني⁽⁴⁾.

(1) د. محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص (107-108).

(2) عمر لطفي العالم: المستشرقون ص (85).

(3) د. رضوان السعيد: في مجلة ((رسالة الجهاد الليبية)) عدد 71 ص (88).

(4) الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة ص (128).

ويرى جولدتساير أيضاً أن الخلفاء الراشدين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا بالتبديل والتغيير فيقول: «إن دور الخلفاء بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هو حل المشاكل الجديدة بآرائهم أو بتأويل القرآن»⁽¹⁾. وهذا يهودي آخر اسمه مارجليوث Margoliouth نشر مختاراته القرآنية مع الترجمة عام 1920م - 1339هـ وطبعت في لندن، وهو من يهود الشام هاجر إلى إنجلترا، وقد نال درجة أستاذ كرسى في اللغات الشرقية في أكسفورد. وقام بترجمة سورة آل عمران من تفسير «أنوار التنزيل» للبيضاوى وهى ركيبة، وحواشيه تكشف عن حقد صاحبها على الإسلام وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

ومن اشتهر بدراسة القرآن وعلومه نولدكه Noeldek وبلاشير Blachère وجيفري Jeffry وجولدتساير Goldziher السابق ذكره، كلهم أصحاب مؤلفات معروفة، وكانوا جاهلين جهلاً مطبقاً بالدين⁽³⁾، وكلما وقع في يد أحدهم وأشباههم من اليهود المستشرقين القرآن الكريم أفرز عداوته المغلولة في نفسه من خلال قيامه للترجمة.

إن كراهية اليهود وبغضهم للإسلام قد ظهر في الواقع جلياً كالشمس منذ ظهور الإسلام، وقد أكد القرآن ذلك - كما سبق - وظل اليهود طوال تاريخهم يتخيرون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال

(1) مجلة المنهل السعودية ص (52) عدد خاص بالاستشراق 471.

(2) عبد الله عباس الندوى: ترجمات معاني القرآن الكريم ص (50).

(3) د. تهامي نقرة: القرآن والمستشرقون خلال بحوث المنظمة العربية، منهاج المستشرقين ص (25).

الاستشراق بباباً كبيراً ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام، فدخلوا هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم بدهاء وخبث. لعل هذا هو السبب، لعدم اطلاع كثير من الدارسين والباحثين على نواياهم السيئة، فأغفلوا ذكر اليهود من ساحة الفتنة الكبرى التي ضحت بسبيها أوروبا والعالم الأوروبي؛ أعني بذلك صدور الترجمة اللاتينية؛ لأن واضعها سواء كان يهودياً أو نصرياناً فقد استهدف فيها إبراز العداوة والمكابرة ضد الإسلام، والخبيث وسوء النية، مع الجهل في إدراك معاني القرآن الكريم المعجز.

يقول الدكتور معايرجي وهو يبين خطورة هذه الترجمة: ((والواقع أن رأس الفتنة هي الترجمة اللاتينية الأولى عام 1143 م ... التي لم تكن ترجمة فقط، وإنما أضيف إليها هجوم وقدح في الإسلام والقرآن ونبي المسلمين عليه الصلاة والسلام فيما يسمونه (الجدل Polemics) ثم لحقتها الترجمة اللاتينية الثانية 1721 م ماراتشي وهي أشد قدحاً وهجوماً من الأولى)).⁽¹⁾

﴿فِيمَا نَقْضِيهِمْ مِّيقَاتُهُمْ لَعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً
يُحِرِّفُونَ الْكَلِمَاتَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

[المائدة: ١٣]

(1) د. معايرجي: الهيئة العالمية للقرآن الكريم ص (30).

النتائج والتوصيات

1- النتائج

- تبين من هذه الدراسة السريعة أن الحركة الاستشرافية الأوربية والغربية التي تدعمها اليهودية والنصرانية قد أقامت سداً منيعاً بين كلام الله المعجز ومعانيه الصافية وبين الأوربيين والغربيين، فأثارت فيهم العداوة والبغضاء والكره للإسلام والمسلمين من جراء ما تحمل ترجماتهم من الزيف والأباطيل والتحريف والهجوم والنقد والرفض وإثارة للشبهات والشكوك.
- ومن أبرز خصائص هذه الترجمات الاستشرافية أنها نبعت من قلوب حاقدة وهواء معرضين لم يكونوا أمناء مخلصين، فغلبت عليهم العاطفة الدينية على الحقائق العلمية، فكان التنصير ومحاربة الدين هما الأساس والدافع الرئيس لوضعهم الترجمات الاستشرافية.
- رداءة غالبية الترجمات الاستشرافية لغة وأسلوباً لم تأت عفويًا بل كانت بخطيط سابق وإسناد متعمد.
- استغل قساوسة النصارى ورهبانهم الترجمات القرآنية لصالح التنصير فخشواها بالافتراءات، كما استغلوها الأحبار اليهود لبث سموم اليهودية ومحاولتهم تفضيلها على الإسلام.
- ويذكرنا القول: إن عدم التمكن في اللغة العربية كان أحد أسباب ضعف الترجمات الاستشرافية، وبهذا ظهرت آثار ضعف المعرفة باللغة العربية في الأخطاء النحوية والصرفية التي حشو بها ترجماتهم الاستشرافية .
- قيام بعض المستشرقين بالتصريح المشين في نصوص كتاب الله بحجية أنه يعطي صورة صحيحة واضحة للتاريخ، وقيام البعض الآخر بالتقديم

والتأخير، كل ذلك ظناً منهم أنَّ القرآن من صنع البشر، وتشبيهه بالعهد القديم والعهد الجديد اللَّذِين تصرفوا فيهما من تلقاء أنفسهم كيف شاؤوا؛ وهذا فكر سام ناتج من إنكار إلهيَّة القرآن ورسالة الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وخلاصة القول: إن الترجمات الاستشرافية بأنواعها ليس منها ترجمة واحدة سليمة يعتمد عليها كلياً ويطمأن إليها من حيث الأمانة والدقة، إنما وضعت تلك الترجمات الاستشرافية -بدءاً باللاتينية، ووصولاً إلى المراحل الحديثة المعاصرة- لم يكن لها هدف سوى الإدانات ضد ديننا الحنيف وكتاب الله العزيز ونبينا محمد بن عبد الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

2-الوصيات:

1- من خلال هذا الموجز، وبعد أن وقفنا أمام هذا السيل الجارف من الزييف والضلال والتىارات المدama المستمرة منذ ولادة حركة الاستشراق إلى يومنا هذا، يتحتم علينا نحن المسلمين قاطبة، وعلى العلماء ومن بيده هذا الشأن على وجه الخصوص، العمل الجاد المثمر للبناء على وجه السرعة لإيقاف هذا الاعتداء الآثم تجاه كتاب الله العظيم، ليعم خير هذا الوحي الإلهي البشرية جماء، والأمة الأوروبية والغربية خاصة، إقامةً للحجّة، وتبرئة للذمة، وإنقاذاً للمخدوعين.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْنَلُفُوا فِيهِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الحل: ٦٤] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سيا: ٢٨]

2- المؤتمرات والندوات المباركة كالتي تعقد في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تستطيع أن تعمل الكثير للتتصدي لهذه الحركة والدفاع عن كتاب الله وإنقاذه من عبث العابثين كي لا يترك الحبل على غاربه.

3- يتبنى المجتمع بجهوده المشكورة إصدار ترجمة في اللغة الإنجليزية، وأخرى في أبرز اللغات الأوروبية، لدفع الشبهات التي أثيرت في الترجمات الاستشرافية، ومعلوم أنّ ما يصدر من مهبط الوحي له وقع شديد في نفوس القراء، على الله يهدي من يشاء من عباده.

4- البحث عن تلك الكتب التي ألفها المستشرقون، سواء أكانت على شكل ملحقات للترجمات ومقدمات لها، أم ألفت مستقلة عنها، وتتّبع مواطن

الزلات فيها، ثم القيام بالرد عليها، وإزالة الشبه من المختصين في اللغات نفسها.

5- استخدام كافة الوسائل الحديثة والممكنة للتصدي لتلك الحركة الاستشرافية، حفظاً لكتاب الله العزيز، وأداءً لمسؤولية كل من بيده زمام الدعوة إلى الله، ليحق الحق ويبطل الباطل.
وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- 1 القرآن الكريم
- 2 لاستشراق أهدافه ووسائله: د. محمد فتح الله الزبادي، طبع دار قتبة 2002م.
- 3 لاستشراق بين الموضوعية والافتراضية: د. قاسم السامرائي، دار الرفاعي، الرياض سنة 1983م
- 4 لاستشراق رسالة الاستعمار: محمد الفيومي القاهرة، الفكر العربي 1413هـ.
- 5 لاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة: د. عمر فروخ، بحث مقدم للندوة العلمية عن المستشرقين في الهند، طبع ضمن بحوث أخرى.
- 6 لاستشراق والتاريخ الإسلامي : أ.د. عمر فوزي، لبنان، 1998م.
- 7 لاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د. محمود حمدي زقزوق، طبعة كتاب الأمة، دولة قطر، مؤسسة الرسالة 1405هـ.
- 8 لاستشراق والدراسات الإسلامية: أ.د. عبد القهار العاني، دار الفرقان، الأردن 1421هـ.
- 9 الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين، طبع دار الإرشاد، بيروت د.ت.
- 10 -الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين: أبو الحسن علي الندوبي، طبع ضمن بحوث الندوة بالهند تحت عنوان: الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة جدة 1405هـ.

- 11 -إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، مجلة الفكر العربي 1983م.
- 12 -تاريخ حركة الاستشراق: يوهان فك، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت د.ت.
- 13 -تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين: د. محمد التمساني، جمع الملك فهد بالمدينة، 1423هـ.
- 14 -تاريخ الفكر العربي، جون ثالث باليشا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1955م.
- 15 -ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند العرب: عبد الله عباس الندوبي، دار الفتح، جدة، 1392هـ.
- 16 -ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة، يوسف الحمداني بن الشافعي، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة، 1423هـ.
- 17 -تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، عبد الجبار ناجي، بغداد 1981م.
- 18 -تطور كتابة المصحف الشريف وطبعاته: أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي، جمع الملك فهد بالمدينة المنورة، 1421هـ.
- 19 -الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا: د. ميشال حجا، معهد الإنماء العربي، بيروت طبع 1.
- 20 -دراسة حول ترجمة القرآن الكريم: د. أحمد إبراهيم مهنا، مطبوعات الشعب، مصر.

- 21 - دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (القرآن مترجمًا): للمستشار آربرى، د. هيثم عبد العزيز ساب، مجمع الملك فهد بالمدينة، 1423هـ.
- 22 - الرؤية الإسلامية للاستشراق: أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن، 1411هـ.
- 23 - الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة: محمد شريف الشيباني، د.ت.
- 24 - الشرق الجديد: محمد حسين هبكل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م.
- 25 - الطباعة في شبه الجزيرة: د. يحيى محمود بن جنيد، دار أجا بالرياض، 1419هـ، 1998م.
- 26 - الغارة التنصيرية على أصالة القرآن: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، طبع مجمع الملك فهد، المدينة المنورة 1421هـ.
- 27 - الفكر الإسلامي في تطوره: د. البهبي، دار الفكر، بيروت، 1971م.
- 28 - فلسفة الاستشراق: د. أحمد سمايلوفتش، طبع دار المعارف، مصر، 1974م.
- 29 - القرآن والمستشرقون، ضمن بحوث المنظمة العربية ((مناهج المستشرقين في الدراسات العربية)) د. تهامي نقرة، مكتب التربية العربي، الرياض، 1405هـ.
- 30 - الكتاب المفصل في تاريخ الأدب العربي: د. أحمد الإسكندراني وآخرون، القاهرة، 1994م.

- 31 -المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، 1991م.
- 32 -مجلة رسالة الجهاد الليبية، عدد 71.
- 33 -مجلة المنهل السعودية، عدد خاص بالاستشراق (471).
- 34 -مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: د. محمود محمد الطناحي، مطبعة المدini، القاهرة، 1984م.
- 35 -المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، بدون تاريخ.
- 36 -المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم: د. محمد صالح البنداق، طبع 2 دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ، 1983م.
- 37 -المستشرقون ومشكلات الحضارة: د. عفاف صبرة دار النهضة العربية القاهرة، 1980م.
- 38 -المستشرقون ونشر التراث : علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، الرياض، 1424هـ.
- 39 -موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي، طبع دار العلم للملائين، بيروت، 1989م.
- 40 -الم الهيئة العالمية للقرآن الكريم: د. حسن معايرجي، الدوحة، 1991م.
- 41 -مصادر الدراسات الأدبية، يوسف أحمد داغر د.ت.
- 42 -المصباح المنير: أحمد محمد الفيومي، طبع مصر 1369هـ.
- 43 -معجم متن اللغة: دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.
- 44 -المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960م.

فهرس الم الموضوعات

1	المقدمة
4	المبحث الأول
4	مفهوم كلمتي الاستشراق والمستشريين كما يرى الباحثون.
4	1 - الاستشراق لغة:
5	2 - المفهوم العلمي للاستشراق أو معناه الاصطلاحي:
5	3 - التعريف الذي يحدد دائرة الترجمات الاستشرافية:
7	4 - المستشرقون:
9	المبحث الثاني تاريخ نشأة الاستشراق وأطواره
9	1 - تاريخ نشأة الاستشراق:
9	2 - آراء الباحثين في تحديد نشأة الاستشراق:
11	3 - مراحل الاستشراق وأطواره:
12	4 - متى ظهرت كلمة ((الاستشراق))؟
14	المبحث الثالث: القرآن الكريم والمستشرقون
14	1 - تمهيد:
14	2 - صدور أول نسخة مطبوعة للقرآن الكريم في أوروبا:
18	المبحث الرابع: الترجمات الاستشرافية لمعاني القرآن الكريم ونشأتها ... 18
18	1 - الترجمة اللاتинية:
20	2 - الترجمة الإيطالية الأولى:
21	3 - الترجمة الألمانية الأولى:
21	4 - الترجمة الهولندية:

5- الترجمة الفرنسية الأولى:.....	21
6- الترجمة الفرنسية الثانية:.....	22
7- الترجمة الإنجليزية الأولى:.....	23
8- أقدم ترجمة إنجليزية من العربية:.....	23
المبحث الخامس: الدوافع والأهداف للترجمات الاستشرافية	25
تمهيد:.....	25
1- اعتراف ببعض جهود المستشرقين العلمية.....	26
2- السبب الحقيقي لإعداد الترجمات القرآنية:.....	28
3- الأهداف الاستشرافية لوضع الترجمات:.....	31
المدارك الأول:.....	31
المدارك الثاني:.....	34
4- التصرف في نصوص القرآن بالتقديس والتأخير:.....	36
إضافات حديدة:.....	37
5- الدافع الديني هو المحرك الرئيس للاستشراف النصراني:.....	37
6- المستشرقون اليهود وترجمة معانٍ القرآن الكريم:.....	38
7- الترجمات الاستشرافية اليهودية وأهدافها:.....	40
النتائج والتوصيات	45
1- النتائج:.....	45
2- التوصيات:.....	47
ثبات المصادر والمراجع	49
فهرس الموضوعات	53